

الحياة الاقتصادية بمملكة سنغاي خلال الفترة (73 - 1000 هـ / 1468 - 1591 م) حمد محمد الجهيمي

Doi: <https://doi.org/10.54172/c287av40>

المستخلص: تناولت هذه الدراسة الحياة الاقتصادية بمملكة سنغاي خلال الفترة (73 - 1000 هـ / 1468 - 1591 م) ، وقد جاءت في تمهيد وسبعة محاور ، تتبعها خاتمة ، وثبتت بالمصادر والمراجع . ففي المحور الأول الموسم " نشأة مملكة سنغاي " . أما في المحور الثاني الموسم " بالزراعة ودورها في تنشيط الحياة الاقتصادية بتلك المملكة " ، اتضح لنا ازدهار الزراعة بمملكة سنغاي حيث كثرت فيها المحاصيل الزراعية كالأرز والدخن والشعير والقمح وغيرها من المحصولات الزراعية . وفي المحور الثالث الموسم " الثروة الحيوانية والسكنية " تبين لنا اهتمام أهل المملكة بتربية الحيوانات فكثرت فيها الإبل والأغنام والأبقار وغيرها ، كما اهتم أهل المملكة بالثروة السكنية لما لها من أهمية اقتصادية في تاريخ مملكة سنغاي . أما في المحور الرابع والموسم " الثروة المعدنية وأهم الصناعات " ، اتضح لنا بأن تلك المملكة تزخر بالعديد من المعادن كالذهب والفضة والتي قامت عليها العديد من الصناعات المختلفة . وفي المحور الخامس الموسم " التجارة الداخلية " ، تبين لنا أن لتلك المملكة تجارة داخلية نشطة تمثلت في وجود العديد من الأسواق والتي نشطت فيها عمليتا البيع والشراء بين أهل سنغاي . أما في المحور السادس الموسم " التجارة الخارجية " ، اتضح لنا بأن مملكة سنغاي تعد إحدى مراكز التجارة العالمية والتي نشطت بها التجارة الدولية الرابطة بين تلك المملكة وشمال أفريقيا وبلاد المغرب العربي . أما المحور السابع والموسم " وسائل المعاملات المالية " ، تبين لنا بأن لتلك المملكة العديد من وسائل المعاملات المالية والتي تتمثل في العملة، والمكايل والأوزان والمقاييس وغيرها من وسائل المعاملات المالية.

الكلمات المفتاحية: مملكة سنغاي، التجارة الداخلية، الزراعة.

Economic life in the Kingdom of Singai during the period (873-1000 AH / 1468-1591 AD)

Hamad Mohammed Al-Juhaimi

Abstract: This study dealt with the economic life in the Kingdom of Singai during the period (873-1000 AH / 1468-1591 AD). It was presented in an introduction and seven axes, followed by a conclusion, and supported by sources and references. In the first axis, entitled "The Establishment of the Singai Kingdom. As for the second axis, entitled "Agriculture and its role in stimulating economic life in that kingdom," it became clear to us that agriculture flourished in the Kingdom of Singai, where agricultural crops such as rice, millet, barley, wheat, and other agricultural crops abounded. In the third axis, entitled "Livestock and Fish Wealth," we found the interest of the people of the Kingdom in raising animals, which abounded in camels, sheep, cows, and others. The people of the Kingdom were also interested in fish wealth because of its economic importance in the history of the Kingdom of Singai. As for the fourth axis, which is tagged "Mineral Wealth and the Most Important Industries," it became clear to us that this Kingdom is rich in many minerals, such as gold and silver, on which many different industries were based. In the fifth axis, entitled "Internal Trade," we found that this Kingdom had active internal trade, represented by the presence of many markets in which buying and selling operations were active among the people of Singai. As for the sixth axis, entitled "Foreign Trade," it became clear to us that the Kingdom of Singai is one of the centers of world trade, through which international trade has been activated between that Kingdom, North Africa, and the countries of the Maghreb. As for the seventh axis, which is tagged "Means of Financial Transactions," we found that this Kingdom has many means of financial transactions, which are represented by currency, measures, weights, measures, and other means of financial transactions.

Keywords: The Kingdom of Singai, Internal trade, Agriculture.

تمهيد:

تعد مملكة سنغاي من أقدم الممالك التي قامت في منطقة غرب أفريقيا وأدت دوراً هاماً في تطور حياتها الاقتصادية وذلك بفضل موقعها المميز والذي لعب دوراً مهم في تاريخ تلك المملكة وازدهارها ونموها اقتصادياً سواء من الناحية الداخلية أو الخارجية ، ومن هنا جاءت أهمية موضوع البحث وعنوانه "الحياة الاقتصادية بمملكة سنغاي خلال الفترة 873 . 1000 هـ / 1468 . 1591 م" .

ونأمل من خلال هذه الدراسة الإجابة عن بعض التساؤلات الآتية :

ما هي الدوافع الأساسية وراء إنشاء وتأسيس مملكة سنغاي في منطقة غرب أفريقيا ؟ وهل اقتصر نشاطها الاقتصادي من الناحية الزراعية أو الصناعية على تحقيق الاكتفاء الذاتي؟ أم أنها وظفت ذلك الإنتاج في تجارة خارجية؟ وهل كان للتجارة الداخلية بتلك المملكة دور أساسي في تنشيط الحياة الاقتصادية؟ وما هو دور الطرق والقوافل التجارية في توثيق العلاقات الاقتصادية بينها وبين مدن الشمال الأفريقي والمغرب العربي؟ وما أهم السلع التي تحملها القوافل بين الاتجاهين؟ وما نتائجها على مملكة سنغاي اقتصادياً؟

سنحاول في هذه الدراسة أن نتتبع الحياة الاقتصادية في مملكة سنغاي خلال فترة الدراسة من خلال المنهج التاريخي الذي يعتمد على سرد الأحداث وتحليلها مستخدماً ما تمكنت الحصول عليه من مصادر ومراجع.

وتعميماً للفائدة، فقد تم تقسيم البحث إلى المحاور التالية:

المحور الأول: نشأة مملكة سنغاي .

المحور الثاني: الزراعة ودورها في تنشيط الحياة الاقتصادية بتلك المملكة .

المحور الثالث: الثروة الحيوانية والسمكية .

المحور الرابع: الثروة المعدنية وأهم الصناعات.

المحور الخامس: التجارة الداخلية.

المحور السادس: التجارة الخارجية.

المحور السابع: وسائل المعاملات المالية.

المحور الأول : نشأة مملكة سنغاي

تعد مملكة سنغاي آخر ممالك السودان الغربي التي ازدهرت في المناطق الواقعة بين حوض نهر السنغال ونهر النيجر وقد كانت مملكة سنغاي تشابه مملكتي غانة⁽¹⁾ ومالي⁽²⁾ من حيث استجابتها للإسلام وللمؤثرات الثقافية العربية الإسلامية الوافدة من الشمال الأفريقي⁽³⁾.

من الاطلاع على الروايات المتعددة حول تأسيس مملكة سنغاي يتضح بان هذه المملكة حسب ما ذكر المؤرخ هنريك بأنها بدأت تظهر على المسرح السياسي في السودان الغربي في مدينة كوكيا⁽⁴⁾ (كوكو) في القرن الأول الهجري/السابع الميلادي وأن مؤسسها الأول هو ديا (ضياء) اليمان واصله من اليمن⁽⁵⁾، وربما اعتمد هنريك على ما أورده المؤرخ عبد الرحمن السعدي مؤرخ القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي الذي قال بأن منشئ هذه المملكة هو زا الأيمن وإن أصل هذا اللفظ جاء من اليمن⁽⁶⁾ فيما يرى عبد القادر زبادية بأن أسرة زا التي أسست مملكة سنغاي وحكمتها إحدى الأسر الليبية التي وفدت إلى السودان الغربي⁽⁷⁾ وهذا الرأي الأخير يخالف رأي المؤرخ ترمنجهام القائل بان ملوك سنغاي الأوائل من قبائل الزغاوة⁽⁸⁾ المشهورين بصلاتهم التجارية الواسعة وهو وهم من البدو الذين كانوا يتجولون عبر الصحراء ولهم دارية بركوب الخيل وأنهم يعودون في أصولهم إلى منطقة فزان بجنوب ليبيا الحالية⁽⁹⁾.

وعلى أي حال فمهما اختلفت الروايات التاريخية التي تم سردها حول أصل ملوك سنغاي فانه من الواضح أنهم أما من اليمن بحسب ما ذكر هنريك، والسعدي أو من طرابلس الغرب بحسب رأي عبد القادر زبادية، أو من فزان في جنوب ليبيا الحالية بحسب رأي ترمنجهام.

من الواضح أن الدور الهام لمملكة سنغاي هو الذي بدأ مع تولي سني على بن سليمان بن دام الملقب بعلي ببير الكبير والذي تولى مقاليد الأمور في سنغاي عام 869 - 898 هـ/ 1464 - 1492 م حيث عمل على توطيد

(1) أول الممالك الإسلامية التي ظهرت في أفريقيا، وقد شملت كل من موريتانيا والجزء الشرقي من السنغال ثم بعض المناطق من مملكة مالي أي بين الأقاليم الواقعة بين نهر السنغال والنيجر.

انظر : ياقوت : معجم البلدان (دار صادر ، بيروت ، 1957) ج 4 ، ص 184 - عطية الفيتوري : دراسات في تاريخ شرق أفريقيا جنوب الصحراء (منشورات جامعة قار يونس ، بنغازي ، 1998) ص 233 .

(2) إحدى الممالك الإسلامية التي قامت في منطقة غرب أفريقيا خلال القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي . للمزيد : أنظر : الهادي الدالي : مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها مع أهم المراكز بالشمال الأفريقي من القرن 13-15 (ط2) ، مطابع الوحدة العربية ، الزاوية ، 1999م) ص 22 .

(3) قمر الدين محمد فضل الله : لمحة تاريخية عن مملكة سنغاي الإسلامية (مجلة الدعوة الإسلامية العدد الخامس ، جمعية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، 1984 م) ص 212 .

(4) تعتبر العاصمة القديمة لمملكة سنغاي ، وهي تقع في جزيرة بنهر النيجر قرب مدينة بلننيا بدولة النيجر الراهنة . للمزيد انظر : باولو فرناندو : نظام تجارة تادمكة وجاو و كواكو و كوكيا (مجلة البحوث التاريخية ، العدد الأول ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، طرابلس ، 1981) ص 48-57 .

(5) Hunwick , J.O : Religion and state in Songhay Empire Islam in Tropical Africa , p.29

(6) تاريخ السودان (هوداس ، باريس ، 1964 م) ص 4.

(7) مملكة سنغاي في عهد الاسيقيين 1493 - 1591 م (الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، د.ت) ص 26 .

(8) هم خليط من مجموع القبائل من العرب والبربر والداوجو وأصلهم من واحة فزان في ليبيا أي من قبائل الجرامنت ، وقد هاجر بعضهم اثر الحروب التي نشأت بينهم وبين الرومان في القرن الأول ق.م فاستقروا في بلاد السودان وتشاد وقد اسلموا ودخلوا في طاعة الكاتمين .

انظر : المسعودي : مروج الذهب (تحقيق سعيد محمد اللحام ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 2005 م) ج 2 ، ص 5 - حسن احمد محمود : دور العرب في نشر الحضارة في غرب أفريقيا (المجلة التاريخية المصرية ، مجلة 14 ، جامعة عين شمس ، القاهرة ، 1986 م) ص 72 .

(9) trimingham , J , C:A History of Islam in west Africa (London , 1970) p.80 .

دعائم دولته، وخاض الحروب من أجل توسيع مملكته مع قبائل الطوارق⁽¹⁰⁾ فاستولى على تنبكت⁽¹¹⁾ في عام 873هـ/1468 م و امتد سلطانه فشمّل الأراضي التي تحيط بمنحى نهر النيجر وبسط نفوذه على سهول غربي أفريقيا فشمّلها جميعا ، ثم استولى على مدينة جنى⁽¹²⁾ عام 875هـ/1470 م وهي التي لم تخضع قط لمملكة مالي⁽¹³⁾.

وفي سنة 898هـ/1492 م توفي سني علي وخلفه في حكم سنغاي نجله المدعو أبو بكر داعو لكنه لم يكن في مستوى شخصية والده اذ سرعان ما تكالبت عليه الظروف ، وتعرض لضغوط من قادة جيوش والده ، وبالذات محمد بن أبي بكر الطوري ، الذي كان طامحا إلى حكم سنغاي وقد التقى الاثنان في موقعة حربية في قرية انكح قرب جاو⁽¹⁴⁾ وانتهت بهزيمة أبي بكر داعو ووفاته عام 899هـ/1493 م وبموته انتهت سلالة أسرة ال سني من حكم سنغاي⁽¹⁵⁾ وبدأ عهد جديد لأسرة جديدة قدر لها أن تضع بصماتها على تاريخ مملكة سنغاي ، وقد تلقب سلاطينها بلقب اسكيا⁽¹⁶⁾ وكان أول هؤلاء هو الاسكيا محمد الكبير ، الذي تولى مقاليد الأمور في تلك المملكة الإسلامية عام 899 هـ / 1493 م⁽¹⁷⁾.

وهكذا فقد كان لتأسيس ونشأة مملكة السنغاي أهمية كبرى في تاريخ منطقة غرب أفريقيا من الناحية الاقتصادية ، حيث كان لموقعها الجغرافي على نهر النيجر أهمية في استغلال مياهه في مجال الزراعة والرعي كما كان موقعها بين الشمال الأفريقي والسودان الغربي قد هيا لها الاستفادة من تجارة القوافل التي تجوب الصحراء الكبرى .

المحور الثاني : الزراعة ودورها في تنشيط الحياة الاقتصادية بمملكة سنغاي

كانت مملكة سنغاي تضم مناطق ذات أجواء ومحاصيل متنوعة ، فأرضها خصبة ، والمياه وفيرة ، فهي تعتبر بلاد شبه استوائية ، تتميز بارتفاع في درجة الحرارة لوقوعها بين خط الاستواء جنوبا و مدار السرطان شمالا ، وتهب عليها رياح مختلفة منها الباردة والدافئة والجافة وتكثر فيها الأمطار غير أنها تقل كلما اتجه الإنسان شمالا، أما المناطق الداخلية فتعتمد على نهر النيجر في الري ، وهذا النهر مصدر خصب للأراضي التي يخرقها⁽¹⁸⁾

(10) ينسب الطوارق إلى قبائل صنهاجة ذات النسب العربي والتي هاجرت من شبه الجزيرة العربية إلى شمال أفريقيا أثناء الفتح الإسلامي فتوغلت جنوبا نحو الصحراء الكبرى ، حيث استقروا في أماكن عديدة منها واحنا ، فزان وغدامس شمالا ، حتى تنبكت وزندر في الجنوب .

انظر : السعدي تاريخ السودان ، ص 25-26 أحمد بابير الارواني : السعادة الأدبية (تحقيق الهادي الدالي ، دار الكتب الوطنية ، 2001) ص 53 – 54 .

(11) من أهم المراكز الثقافية في منطقة غرب أفريقيا وقد أنشأت في أواخر القرن الخامس الهجري / الحادي عشر ميلادي في عهد الأمير يوسف بن تاتشقين . انظر : السعدي : تاريخ السودان ، ص 20 .

(12) تقع إلى الجنوب الغربي من مدينة تنبكت ، وهي إحدى المراكز الثقافية في منطقة غرب أفريقيا نشأت في أواسط القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي . انظر : السعدي : تاريخ السودان ، ص 12 .

(13) محمود كعت : تاريخ الفتاش في اخبار البلدان و الجيوش وأكابر الناس (طبعة هوداس ، باريس ، 1964) ص 43 – السعدي : المصدر السابق ، ص 64 .

(14) إحدى المراكز الثقافية في منطقة غرب أفريقيا تقع على الضفة اليسرى لنهر النيجر وإلى الجنوب الشرقي من مدينة تنبكت بحوالي أربع مائة وخمسين كيلو متراً .

انظر : فاي منصور علي : أسكيا الحاج محمد وأحياء دولة السنغاي الإسلامية (منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، ليبيا ، 1997 م) ص 222 .

(15) كعت : المصدر السابق ص 52 – السعدي ، المصدر السابق ص 71 – أحمد بابير الارواني : جواهر الحسان في أخبار السودان (تحقيق الهادي الدالي ، ط 1 ، دار الكتب الوطنية ، بنغازي ، 2001) ص 64 .

(16) وتعني المغتصب استنادا لما أورده السعدي انه لما بلغ خبر انتصار الاسكيا محمد وتوليه العرش بنات سني علي قُتل اسكيا ومغناه في كلامهن لا يكون إياه فلما سمعه أمر إلا يلقب إلا به فقالوا اسكيا .

للمزيد انظر : السعدي تاريخ السودان ، ص 72 .

(17) جميلة أحمد التكتيك : مملكة سنغاي الإسلامية في عهد الاسكيا محمد الكبير (مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، طرابلس ، 1998 م) ، ص 47 .

(18) نعيم قداح : افريقية الغربية في ظل الاسلام (كونا كرى ، 1960) ص 7 .

ومن هنا فقد تنوعت المزروعات في مملكة سنغاي على أيام الاسقيين خلال القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي بشكل ظاهر ، أما الكميات التي تجنى كمحاصيل فقد اختلفت من نوع إلى آخر ومن وقت إلى آخر كذلك ، كما أن هذه الكميات كانت متوافرة ومن جميع المحاصيل .

لم يعرف الفلاحون في مملكة سنغاي على أيام الاسقيين المحراث أو أنهم كانوا لا يستعملونه في كل زراعتهم ، باستثناء بعض الواحات الشمالية من البلاد مثل ولاته⁽¹⁹⁾ والتي كانت تستعمل فيها المحارث التي تجرها الثيران أو الجمال أما في بقية البلاد فكانوا يحفرون الأرض ويقطعون النبات بواسطة الفئوس وكانوا يستعملون الأسمدة التي يتخذونها من فضلات الحيوانات ، وكانوا يحسنون الري ، وقد فرعوا عن نهر النيجر عدة قنوات ، وكذلك من روافده ، والبحيرات الموجودة عند منحاه الأعلى ، أما في بقية المناطق فكانت الينابيع والآبار والعيون هي أساس ريهم .⁽²⁰⁾

تذكر الروايات التاريخية أن شعب سنغاي كان يأتيه مورد رزقه من الزراعة وإن الأغلبية المطلقة من شعب هذه المملكة كانوا فلاحين ، لأن مهنتهم الأساسية كانت الفلاحة ، وإلى جانبهم ، وجدت فئة قليلة من أفراد العائلة المالكة ، وكبار موظفي الدولة ، وكانوا يمتلكون مزارع خاصة بهم ، يعمل بها عبيدهم ولم يكن لهؤلاء السادة من الإقطاعيين من عمل سوى تلقي المحصول الناتج من أملاكهم الزراعية هذه ، دون أدنى جهد منهم ومع ذلك يبدو أن حظهم من المحاصيل الزراعية كان أوفر من حظ الممتننين لحرفة الفلاحة ، إذا كان يفيض عن حاجتهم ، الأمر الذي زاد من رفاهيتهم في العيش ، إلى جانب رواتبهم من الدولة ، بينما لم يكد محصول الأملاك الخاصة بالفلاحين يكفي لسد حاجتهم الأساسية مما دفع بهم إلى الجمع بين مهنة الفلاحة وتربية المواشي في بعض الأحيان ، أما سلطان الدولة فكان يملك أراضي زراعية واسعة يعمل فيها عدد كبير من العمال الأحرار المأجورين إلى جانب عبيده ، وكان الإنتاج الزراعي الذي يقوم به نحو مائة عبد في حقول الأرز ، ما يساوي حوالي مائتين وخمسين طنا يحول كله إلى مخازن السلطان الذي كان هو المقدم لبذوره⁽²¹⁾.

وعن أهم المزروعات في مملكة سنغاي على عهد الاسقيين فكانت الأرز والدخن والشعير والقمح والفول والخضر والفواكه⁽²²⁾، وفي مناطق الواحات الشمالية يوجد النخيل ، ولكن المحصول من ثمره لا يفي بحاجة السكان ، ولذا فكانت مملكة سنغاي تستورد منه كميات من ورقلة⁽²³⁾ وبسكرة⁽²⁴⁾، والواحات الشرقية من الجزائر الحالية ويظهر مما كتبه محمود كعت أن تمر ورقلة كان من أجود أنواع التمور لدى سكان مملكة سنغاي ولذلك اقبل عليه السكان اقبالا

(19) تقع إلى الشمال الغربي من مدينة تنبكت وقد تأسست حوالي القرن السادس الهجري / الثاني عشر ميلادي .

انظر : امطير سعد غيث : الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي (دار المدار الإسلامي ، بيروت ، 2004) ص 216.

(20) عبد القادر زبدي : المرجع السابق ، ص 172 - عبد القادر نوري : تاريخ الاسلام في جنوب الصحراء (جامعة الموصل ، بغداد ، 1985 م) ص 226 ، 230 .
mauny R - : table au ceographiqu de louest Africain au moye age , daker , 1961 , p 241 .

(21) دريد عبد القادر : المرجع السابق ، ص 226 - فاي منصور : المرجع السابق ، ص 115، 116 .

(22) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة (شركة الإعلانات الشرقية ، القاهرة ، دت) ص 452 - القلقشندي : صبح الأعشي (شرحه وعلق عليه محمد حسن شمس الدين ، ط1 دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1987 م) ج 5 ، ص 277 - الحسن الوزان : وصف أفريقيا (ترجمة عن الفرنسية عبد الرحمن حميدة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، 2005) ص 537 .

(23) تقع في صحراء الجزائر ، وتعتبر من اهم المراكز التجارية التي تربط بين المغرب الأوسط والسودان الغربي .

انظر : الوزان : وصف أفريقيا ، ص 508 .

(24) احدي ولايات جمهورية الجزائر وهي تشتهر بزراعة النخيل والزيتون ومختلف التمار وبها مساجد كثيرة .

انظر : ياقوت : معجم البلدان ، ج 1 ، ص 422 .

كبيرا لجودته⁽²⁵⁾، كما يذكر انه في سنة 1002 هـ/ 1594 م كان يباع التمر في تنبكت كل عشر تمرات من تمر بسكرة بخمس ودعات⁽²⁶⁾ فقد علق على ذلك التنبكتي مؤرخ القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي بان هذا يمثل سعر منخفضا⁽²⁷⁾ كما عرفت زراعة الشعير والذي كان يزرع في المناطق الشمالية المطلّة على الصحراء وهو يعتبر غذاء رئيسي لسكان تلك المملكة⁽²⁸⁾ وإلى جانب زراعة الشعير عرف أهالي تلك المملكة زراعة الخضار والفواكه منها البطيخ والخيار والقرع واللوبيا والبصل والبادنجان والبرتقال والليمون وإلى غير ذلك من الخضروات والفواكه⁽²⁹⁾ ومن بين المزروعات التي عرفها أهالي مملكة سنغاي زراعة القطن وهو من المزروعات الصناعية وقد تركزت زراعته في المناطق المحيطة بنهر النيجر .⁽³⁰⁾

وهكذا من خلال هذا العرض يتضح أن الزراعة كانت من المصادر الأساسية لثروة مملكة سنغاي وكان إنتاجهما يزيد بزيادة كمية الأمطار وخصوبة التربة وإقبال الأهالي عليها والاهتمام بها.

المحور الثالث : الثروة الحيوانية والسمكية

اهتم سكان مملكة سنغاي بتربية الحيوانات للحاجة إلى لحومها وألبانها وجلودها واستخدامها في مختلف الأعمال المتصلة بالزراعة والاستفادة منها في حياتهم اليومية ، من أهم هذه الحيوانات - الحيوانات البرية - والتي من أهمها الفيلة فهي توجد بأعداد كثيرة في الغابات الكثيفة فكان أهالي البلاد يقتلونهم بالسهم ويستفيدون من لحومها ويبيعون أنيابها للتجار العرب المغاربة والتي تعتبر من أهم صادرات مملكة سنغاي،⁽³¹⁾ وإلى جانب الفيلة كانت توجد الزراف فهي تعيش في الغابات فالصيادون يصطادون الزرافات الصغيرة دون الكبيرة نتيجة لهروبها وتستعمل جلودها للزينة،⁽³²⁾ وللجمال مكانة عظيمة لدى أهالي مملكة سنغاي فهو من الحيوانات التي أدت دورا بارزا في حياة السكان حيث كان هذا الحيوان مرتبطا بحياة البدو الذين تمكنوا من استئناسه وترويضه وبالإضافة إلى استخدامه كوسيلة نقل استفيد منها أيضا مصدر هام للغذاء وخصوصا لسكان الصحراء والواحات واستفيد من جلودها في صناعة الصنادل والأكياس والقرب والفرش وصنعوا من وبرها الخيام واللباس،⁽³³⁾ أما الخيول فكانت تستورد من الشمال الأفريقي عن طريق القوافل التجارية ويؤكد الفلقشندي مؤرخ القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي على ذلك بقوله "وتجلب الخيل العرب إلى ملوكهم ويتغالون في أثمانها"⁽³⁴⁾ ومن أهم هذه الخيول ذلك النوع الذي يعرف باسم (بوني) وهي نوع صغيرة الحجم وكان يستخدم في التنقل والمتاجرة داخل المملكة⁽³⁵⁾.

(25) تاريخ الفتاش ، ص 209 .

(26) جمع ودعة ، وهو نوع من الصدف يستخدم كعملة في عملية التبادل التجاري بين السلع .
انظر : على جمعة : المكايل والموازين ، ص 63 .

(27) تاريخ الفتاش ، ص 219 .

(28) عبد القادر زبادية : المرجع السابق ، ص 174 .

(29) الفلقشندي : المصدر السابق ، ج 5 ، ص 277 .

(30) محمد المغربي : بداية الحكم المغربي في السودان الغربي (مؤسسة الخليج للطباعة والنشر ، الكويت ، دت) ص 486 .

(31) القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد (دار صادر ، بيروت ، دت) ص 23 - الوزان : المصدر السابق ص 633-634 .

(32) الحسن الوزان : المصدر السابق ، ص 634 - دريد عبد القادر : المرجع السابق ، ص 247 .

(33) الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الأفاق (مكتبة الثقافة الدينية ، دت) ج 1 ، ص 21 - عبد القادر زبادية : المرجع السابق ، ص 185 - 186 .

(34) صبح الأعشي ، ج 5 ، ص 276 - الوزان : المصدر السابق ، ص 640 .

(35) زبادية : المرجع السابق ، ص 185 .

وأولى سكان مملكة سنغاي عناية خاصة بتربية الأبقار والتي تتميز بصغر حجمها وذلك لكثرة وجودها في البلاد خاصة عند الأطراف الإقليمية الواقعة على حافات الصحراء الكبرى وكانت ملكيتها منتشرة بين جميع فئات الشعب وكانت ألبانها ومشتقاتها تشكل جزءا مهما من غذاء المواطنين إلى جانب لحومها وجلودها، كما استخدمت في مجال النقل ، الأمر الذي يدل على كثرة وجودها وانتشارها في تلك المملكة وبالتالي رخص أثمانها (36).

وتأتي الأغنام في المرتبة الثانية بعد الأبقار حيث كانوا يستفيدون منها فوائد عديدة فيأكلون لحومها ويتخذون من جلودها فرشاً كما ينسجون من أصوافها خيوطاً وألبسة ، ويحتل الماعز المرتبة الثالثة بعد الأبقار والأغنام في المملكة حيث كانت تربي في مناطق الشمال أكثر من مناطق الجنوب من البلاد (37)

وللطيور بجميع أنواعها أهمية خاصة لدى سكان مملكة السنغاي حيث كانت تلك المملكة تزخر بمختلف أنواع الطيور ، ويؤكد القلقشندي مؤرخ القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي ذلك بقوله "وبها من الطيور والدواجن ، والإوز ، والدجاج ، والحمام" (38).

وجد إلى جانب الطيور الكثير من التماسيح في مياه نهر النيجر وكان السكان يصطادون هذه التماسيح ويأكلون لحومها ثم يبيعون جلودها بأعلى الأثمان (39).

كما تعد الثروة السمكية من أهم المصادر الغذائية والتجارية لمملكة سنغاي لذلك اعتمد جزء كبير من سكان المملكة وخاصة حول حوض نهر النيجر على هذه الثروة السمكية ويمتاز صيادو هذه البلاد بمهاراتهم الفائقة في صيد السمك ، وتجفيفها لاتخاذها غذاء رئيسيا في الوقت المناسب . (40)

وخلاصة القول نجد أن مملكة سنغاي حباها الله سبحانه وتعالى بثروة حيوانية ساهمت إلى حد كبير في تنمية الحياة الاقتصادية بتلك المملكة وقد دفع هذا قاطنيها إلى إقامة العديد من الصناعات على تلك الثروة الحيوانية .

(36) الوزان : المصدر السابق ، ص 642 – محمد الغربي : المرجع السابق ص 476 .

(37) محمد العربي : المرجع السابق ، ص 476 - دريد عبد القادر ، المرجع السابق ، ص 247 .

(38) صبح الأعشي، ج 5 ، ص 276 .

(39) الوزان : المصدر السابق ، ص 648 ، 651 – محمد الغربي : المرجع السابق ، ص 475 .

(40) فاي منصور : المرجع السابق ، ص 127 ، 131 .

المحور الرابع : الثروة المعدنية واهم الصناعات

عرفت مملكة سنغاي بأنها غنية بالمعادن المختلفة ، ويبدو أن تنوع تلك المعادن واختلافها قد ساهم بدور كبير في نشأة العديد من الصناعات القائمة على تلك المعادن وخاصة معدن الذهب ، مما أعطى تلك المملكة أهمية كبيرة ، فمعدن الذهب يعد أول المعادن ذات القيمة الفريدة بمملكة سنغاي وذلك لأنه كان يدر على السكان أرباحاً طائلة ، لذلك كان لابد من تعلم طرق جيدة وحديثة لاستخراجه من مناجمه التي كانت في الجبال العالمية والتي يصعب الوصول إليها ، غير أن الأنهار كانت تجرف معها بعض المعادن والفلزات⁽⁴¹⁾ فمثلاً نهر النيجر كان يجرف معه كميات كبيرة من الذهب أثناء جريانه ، وعند مدينة جاو وتبتكت كان يتسع مجراه فيفيض على الجوانب في موسم الأمطار ، وبعد أن ينتهي موسم الفيضان كانت الفلزات تترسب على جانبي الشاطئ ويبقى الذهب من دونها معروفاً بلمعانه فليتنقطة السكان ثم يجمعونه ويبيعونه للتجار العرب⁽⁴²⁾ ويؤكد ذلك ما ذكره الإدريسي مؤرخ القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي بقوله "كان أهالي جزيرة ونقارة⁽⁴³⁾ يذهبون بعد مدة فيضان نهر النيجر يبدؤون بالنقاط وجمع الذهب الذي جلبته مياه النهر أثناء فيضانه ثم يبيعونه للتجار العرب".⁽⁴⁴⁾

وأما عن طريق صناعة الذهب وتصفيته فإنما تتم بإذابته على النار وتنظيفه من الشوائب ثم يسبك بالنار ويصب في قوالب معينة تسمى بالسبائك ومن ثم تجلب هذه السبائك إلى مصانع ضرب العملة في المغرب والشمال الأفريقي .⁽⁴⁵⁾

هذا عن الذهب ، أما النحاس فيعتبر من المعادن التي تأتي بعد الذهب في الأهمية ويؤكد ذلك ما ذكره ابن بطوطة مؤرخ القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي بقوله "كانوا يحفرون عليه في الأرض ويأتون به إلى البلد فيسبكونه في دورهم"⁽⁴⁶⁾.

تكشف لنا إشارة ابن بطوطة السابقة مدى ميول أهالي مملكة سنغاي على هذا المعدن والذي قامت عليه عدة صناعات كصناعة الأساور والخلاخل وغمده السيوف والرماح وأنواع من السكاكين والجرار .

تعد صناعة الحديد من الصناعات التي أتقنها أهالي مملكة سنغاي ، إذا استعملوه في صناعة الخناجر والسيوف والدروع والرماح والفؤوس والمطارق وغيرها من الصناعات الحديدية⁽⁴⁷⁾ كما عرفت في تلك الممالك أيضاً بعض الصناعات الخشبية ، التي كان من أبرزها صناعة الأبواب والنوافذ والأعمدة وصناعة الأواني الخشبية⁽⁴⁸⁾ وإلى جانب

(41) محمد الغربي : المرجع السابق ، ص 496 .

(42) الحسن الوزان : المصدر السابق ، ص 540 - 544 جميلة التكتيك : المرجع السابق ، ص 109 .

(43) تقع إلى الجنوب الغربي من مدينة كومبي صالح بمسافة 150 كلم ، انظر : الحميري : الروض المعطار في خبر الأقطار (تحقيق أحسان ابن عباس ، ط2 مؤسسة ناصر للثقافة ، 1980 م) ، ص 611 .

(44) نزهة المشتاق ، ج 1 ، ص 24 .

(45) عبد القادر زبادية : المرجع السابق ، ص 190 .

(46) رحلة ابن بطوطة ، ص 453 .

(47) Bovill : Caravans of old sahara , London , 1923 , p 121 .

(48) الإدريسي : المصدر السابق ، ج 1 ، ص 20 - ابن سعيد : كتاب بسط الأرض (تحقيق خوان فرنيط ، 1958) ص 3 .

صناعة الأواني الخشبية عرفت كذلك صناعة الحياكة (الخيطة) وخاصة بعد وجود المواد الأولية لهذه الصناعة الأمر الذي أدى إلى قيامها فهناك أنواع من الجلود الصالحة لصناعة الألبسة ، كذلك وجد الصوف والوبر الذي يؤخذ من الماعز والجمال ، بالإضافة إلى توفر أشجار القطن . (49)

وفي مجال الثروة الحيوانية عرفت مملكة سنغاي عدة صناعات منها صناعة دبغ الجلود والتي اعتمدت في صناعة الأحذية والنعال والسروج وكنانات السهام والآلات الموسيقية وخصوصا الطبول الواسعة الانتشار آنذاك . (50)

وعلى هذا يتضح بان مملكة سنغاي من أهم ممالك غرب أفريقيا وذلك لما حوته أرضها من مقومات بشرية وطبيعية وجعلت منها مملكة ذات كيان حضاري مستقل تتمثل في وجود العديد من الثروات المعدنية والتي ساهمت وجودها في ظهور العديد من الصناعات المختلفة وقد ساهم هذا بدوره في إقامة الأسواق وازدهار حركة التجارة داخليا وخارجيا .

المحور الخامس : التجارة الداخلية

كانت التجارة الداخلية تتم وتنشط لوجود كثير من الأسواق المحلية وكانت هذه الأسواق تعتبر محور الحياة الاقتصادية ، حيث يتم فيها عمليتا البيع والشراء للمحاصيل الزراعية ، والسلع الصناعية ، ولذلك كانت مركزا للنشاط التجاري ومظهراً لازدهار الحياة الاقتصادية ، ويمكن تقسيم الأسواق في مملكة سنغاي إلى ثلاثة أنواع وهي :

1- الأسواق المحلية : وهي الأسواق التي تعقد مرة واحدة في الأسبوع في أماكن تجمع سكان القرى ، حيث يوجد بها بعض محلات البيع البسيطة ، والتي يتم فيها عملية تبادل بعض أنواع السلع الرخيصة الثمن .

2- أسواق الأقاليم : وهي تلك التي كانت توجد في المراكز الإقليمية التابعة للمملكة حيث يتوافد إليها التجار القادمون من المناطق الأخرى ، لتبادل البضائع المعروفة في هذه الأسواق والتي كانت كمياتها اكبر وأكثر تنوعا من مثيلاتها في الأسواق الأخرى .

3- الأسواق الكبرى : وهي التي كانت تتم فيها كل عمليات التبادل التجاري مع العالم الخارجي ، حيث كانت حركة التجارة في هذه الأسواق تمتد من الصباح إلى ما بعد غروب الشمس باستثناء يوم الجمعة وأيام الأعياد الرسمية والمناسبات الأخرى أما في باقي القرى البعيدة عن هذه الأسواق فكانت تعقد في كل منها سوق يومين على مدار الأسبوع ، يقصدها الأهالي لاقتناء حاجاتهم من السلع ومبادلة ما عندهم من المحاصيل والمنتجات . (51)

(49) دريد عبد القادر : المرجع السابق ، ص 241 ، 243 .

(50) محمد عبد الفتاح إبراهيم : الثقافات الأفريقية (القاهرة ، 1965) ص 172 - 173 .

(51) نجاة باشا : التجارة في الغرب الإسلامي من القرن الرابع إلى القرن الثامن للهجرة (الجامعة التونسية ، تونس) ص 52-54 - توماس هودكين : ممالك السودان الغربي (ترجمة عبد الواحد الامباني ، القاهرة ، دت) ص 26 - عبد القادر زبادية : المرجع السابق ، ص 195 ، 196 .

والى جانب هذه الأسواق كان يعرف بمملكة سنغاي بيوم السوق⁽⁵²⁾ وهو يعقد مرة واحدة بالأسبوع حيث يفتح أبوابه بعد الساعة الثالثة من بعد الظهر حيث يؤمه السكان من المناطق المجاورة لتأمين احتياجاتهم ومقايضة إنتاجهم والتي تمثلت في المحاصيل الزراعية من حبوب وفواكه ، إلى جانب الأنواع المتباينة من الأسماك فضلا عن قطعان الأبقار والمواشي والغزلان⁽⁵³⁾.

ساهمت نشأة الأسواق في مملكة سنغاي في ظهور بعض الوظائف المرتبطة بالتجارة ، ومن تلك الوظائف وظيفة الدلال وهو الشخص الذي يتوسط بين البائع والمشتري ويحاول التوفيق بينهم .⁽⁵⁴⁾

وخلاصة القول فقد كان لأسواق مملكة سنغاي دور بارز في تطوير الحياة الاقتصادية بتلك المملكة حيث تنوعت بها السلع التجارية وتطورت فيها عملية البيع والشراء الأمر الذي أدى إلى إقامة علاقات تجارية واسعة خارج تلك المملكة وهو ما يعرف بالتجارة الخارجية .

المحور السادس : التجارة الخارجية

عرفت الصحراء الكبرى التي تربط بين شمال أفريقيا وغربها ومن ثم فجنوبها العديد من الطرق منذ أقدم العصور الأمر الذي ترتب عليه قيام حركة تجارية بين الشمال والغرب ومن ثم الجنوب استخدمت فيها الجمال كإداة للنقل وذلك لتمييزها بالصبر على تحمل المشاق والصعوبات وقطع المسافات دون كلل أو ملل ولعل هذه الصفات ما جعل الله تبارك وتعالى يضرب بها المثل في كتابة العزيز فيقول (أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ)⁽⁵⁵⁾ .

تأسيسا على ما تقدم يتضح قيام علاقات تبادل بين مملكة سنغاي ومدن الشمال الأفريقي ، تمحورت حول استغلال هذه المملكة أو تلك ما تحتاج إليه ، ولكن المرء يتساءل هنا ، هل اقتصرت تجارة تلك المملكة على تحقيق الاكتفاء الذاتي أم أنها وظفت فائض إنتاجها في تجارة خارجية ؟ إن الإجابة على هكذا سؤال يتطلب البحث في علاقات مملكة سنغاي التجارية بمختلف مدن الشمال الأفريقي والمغرب العربي .

تعد تجارة مملكة سنغاي البعيدة المدى مع بلدان الشمال الأفريقي والمغرب العربي من الأهمية بمكان في نشاطها الاقتصادي فسعى تجار تلك المناطق لممارستها لما تدره من أرباح فالسلع التي يتم نقلها من مكان إلى آخر يقول ابن خلدون مؤرخ القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي "تكون قليلة معوزة لبعد مكانها أو شدة الغرر في طريقها فيقل حاملوها ويعز وجودها ، وإذا قلت وعزت غلت أثمانها ولهذا تجد التجار الذين يولعون بالدخول إلى بلاد السودان أرفه الناس وأكثر أموالا لبعد طريقهم ومشقته واعتراض المفازة الصعبة الخطرة"⁽⁵⁶⁾.

(52) السعدي : المصدر السابق ، ص 273 .

(53) إبراهيم عبد الجبار : أفريقيا جنوب الصحراء (العراق ، 1978) ص 113، 112 .

(54) سيكيني سيسوخو : تنبكت ومملكة السنغاي (دكار ، 1975) ص 72 .

(55) سورة الغاشية ، الآية 17 .

(56) مقدمة ابن خلدون (تحقيق علي عبد الواحد وافي ، دار نهضة مصر ، 2006) ج 2 ، ص 852 .

تكشف لنا عبارة ابن خلدون هذه أهمية شبكة المواصلات والطرق التجارية التي كانت القوافل التجارية تسلكها

نحو مملكة سنغاي والتي تتمثل في المسالك الصحراوية الآتية .

1- الطريق من سلجاسة⁽⁵⁷⁾ إلى ولاته وجنى فجاو .

2- الطريق من تلمسان⁽⁵⁸⁾ فتوات ثم تنبكت .

3- الطريق من ورقلة إلى جاو فالقوائن الجزائرية في الشمال .

4- الطريق من واحة الجريد في جنوب تونس إلى زويلة⁽⁵⁹⁾ فغدامس⁽⁶⁰⁾.

5- الطريق من طرابلس إلى غدامس ففزان⁽⁶¹⁾ وينتهي إلى برنو⁽⁶²⁾ وجاو .

6- الطريق من مصر فواحه سيوة⁽⁶³⁾ فزويلة فتاد مكة⁽⁶⁴⁾ إلى جاو فتنبكت⁽⁶⁵⁾ .

عبر هذه الطرق والمسالك تتدفق سلع مملكة سنغاي وأهم ثرواتها الطبيعية إلى مدن الشمال الأفريقي والمغرب

العربي والتي من أهمها الذهب والرقيق ، فبالنسبة للذهب فقد كان تجار الشمال الأفريقي يحصلون عليه من جزيرة

ونقارة⁽⁶⁶⁾ والتي اشتهرت بتواجد معدن الذهب فهي تعتبر المنبع الرئيسي له وقد أشار إلى ذلك الحميري مؤرخ القرن التاسع

الهجري / الخامس عشر الميلادي بقوله "وفي أرض ونقارة بلاد معمورة ومعامل مشهورة وأهلها أغنياء والتبر عندهم

وبأيديهم كثير ، والخيرات مجلوبة إليهم من أطراف الأرض وأقاصيها"⁽⁶⁷⁾ وإلى جانب جزيرة ونقارة كان الذهب يدخل إلى

(57) مدينة في أقصى جنوب المغرب في مقاطعة تافيلالت على طرف الصحراء ، تمتاز بكثرة نخيلها وأغابها وقصورها وتعتبر منذ القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ملتقى عدد الطرق التجارية المهمة التي تربط بلاد المغرب وبلاد السودان .

انظر: الاصطخري : المسالك والممالك (تحقيق محمد الجيني، دار العلم، 1968) ص 34 .

(58) تقع في الجزء الغربي من جمهورية الجزائر الحالية ، واشتهرت بصلاتها الواسعة مع بلاد السودان الغربي ، وذلك بسبب موقعها المصائب لها .

للمزيد : انظر : مجهول : الاستبصار في عجائب الامصار (تحقيق سعد زغلول عيد الحميد ، مطبعة جامعة الاسكندرية ، 1958) ص 176-177 - محمد حجي : الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين (الدار المغربية للتأليف والترجمة والنشر ، الرباط ، 1976) ص 375-394 .

(59) تقع إلى الجنوب الشرقي من مدينة سبها وتبعد عنها بحوالي 170 كيلو متر ، وكان بعض المؤرخين يسمونها بزويلة السودان أو بزويلة بني الخطاب تتميز لها عن بلدة زويلة التي بناها عبد الله المهدي قرب تونس ، وهي تعد من المراكز التجارية الرابطة بين شمال أفريقيا وجنوبها .

للمزيد : انظر : اليعقوبي : كتاب البلدان ، ملحق بكتاب الاعلاق النفسية لابن رسته (لندن ، 1891) ص 345 - الاصطخري : المسالك والممالك ، ص 34 ، 35 .

(60) تقع إلى الجنوب الغربي من مدينة طرابلس بنحو 500 كيلو متر ، وتعد إحدى المراكز التجارية للقوافل التجارية المتجهة إلى غرب أفريقيا .

انظر : أبو الفداء : تقويم البلدان (دار صادر ، بيروت ، د.ت) ص 147 - مجهول : الاستبصار ص 145-146 .

(61) تقع وسط ليبيا إلى الجنوب من مدينة طرابلس وقد كانت مركزا تجاريا وحضاريا هاما وقد ارتبطت بعلاقات مختلفة مع بلاد السودان الغربي .

انظر : الحسن الوزان : وصف أفريقيا ، ص 516 - إبراهيم فخار : تجارة القوافل في العصر الوسيط ودور التجار الليبيين في حضارة الصحراء الكبرى "بحث منشور في كتاب تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر " (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، معهد البحوث والدراسات العربية ، بغداد ، 1984) ص 57 .

(62) إحدى الممالك الأفريقية التي قامت في منطقة وسط أفريقيا خلال الفترة من أواخر القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي وظل نفوذها ممتدا على وسط أفريقيا إلى القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي .

انظر : العمري : مسالك الإبرار في ممالك الامصار (تحقيق محمد عبد القادر ، مركز زايد للتراث والتاريخ ، 2001 م) ص 95 .

(63) تقع إلى الشرق من ليبيا وهي ضمن الأراضي المصرية .

انظر : ابن سعيد : كتاب الجغرافيا (تحقيق إسماعيل العربي ، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1970) ص 128 .

(64) سميت في بعض المصادر العربية اسم السوق اوتاد مكة ، وهي تقع إلى الشمال من مدينة جاو وتبعد عنها بحوالي 450 كم وقد وصلها عقبة بن نافع الفهري حوالي عام 681 هـ / 681 م .

انظر : الحميري : الروض المعطار ، ص 128 .

(65) عبد القادر زبائدة : المرجع السابق ، ص 214 - الشيخ الأمين عوض الله : تجارة القوافل بين المغرب والسودان الغربي وأثارها الحضارية حتى القرن 16م ((بحث منشور في كتاب تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر)) (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، معهد البحوث والدراسات العربية ، بغداد ، 1984 م) ص 74 .

(66) تقع إلى الجنوب الغربي من مدينة كومبي صالح عاصمة مملكة غانا .

انظر : الحميري : الروض المعطار ، ص 611 .

(67) الروض المعطار ، ص 611 - الإدريسي ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 24 .

غدامس من تاد مكة التي يقع بها الذهب من بلاد كوغة أكثر بلاد السودان ذهباً،⁽⁶⁸⁾ كما صدرت مملكة سنغاي إلى الشمال الأفريقي الرقيق الذين كانوا يستخدمون كيد عاملة في شتى الحرف⁽⁶⁹⁾ ويؤكد ذلك البكري مؤرخ القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي على جلب الرقيق من بلاد السودان إلى زويلة ومنها يخرج إلى بلاد أفريقية وغيرها من البلاد⁽⁷⁰⁾، كما أشار إلى ذلك الحسن الوزان مؤرخ القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي عندما ذكر مدينة جاو بقوله "يباع فيها - جاو - يوم السوق عدد لا يحصره عدد من الرقيق ذكور وإناث"⁽⁷¹⁾ بالإضافة إلى الذهب والرقيق صادرت مملكة سنغاي إلى مدن الشمال الأفريقي سلعا أخرى مثل العطور وريش النعام والعاج والتوابل⁽⁷²⁾ .

والجدير بالتنويه إن التجارة بين مملكة سنغاي ومدن الشمال الأفريقي لم تقتصر على استجلاب / استيراد سلع تلك المملكة المهمة بل شمل إخراج تصدير منتجات تلك المدن - مدن الشمال - إليها فحركة التبادل القائمة بين الطرفين عبرت وبوضوح عن نباهة وحسن تدبيره تجار الشمال الأفريقي فتجار تلك المدن الممارسين للتجارة مع تلك المملكة كانوا على تعبير ابن خلدون مؤرخ القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي بصيرين بالتجارة ، ذلك أن التاجر البصير بالتجارة لا ينقل من السلع إلا ما تعم الحاجة إليه من الغني والفقير والسلطان ، والسوق⁽⁷³⁾ ، ويعد الملح أهم السلع التي يدخلها التجار إلى مملكة سنغاي ، فشعوب تلك المملكة كانت بحاجة ماسة إلى تلك السلعة وذلك لاستعمالها في أغراض مختلفة وفي الطعام حيث يفقد الجسم كميات كبيرة منه في المناطق الحارة بالعرق وحيث يصعب نقله من الشواطئ البحرية لارتفاع درجة الحرارة وعدم وجود مناجم الملح الذي يمكن نقله إلى مسافات طويلة بهذه المناطق أن تعتمد على مناجم تغازة⁽⁷⁴⁾ في الصحراء الكبرى التي كانت تحت سيطرة تجار الشمال الأفريقي⁽⁷⁵⁾، وقد أشار إلى ذلك القزويني مؤرخ القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي إلى ذلك بقوله "والملح بأرض السودان غزير جداً ، والتجار يجلبونه من تغازة إلى سائر بلادهم"⁽⁷⁶⁾ كما لاحظ ذلك الحسن الوزان مؤرخ القرن العاشر الهجري / السادس الميلادي عندما رأى أن ثمن حمل الجمل من الملح يباع بثمانين ذهباً في مدينة تنبكت⁽⁷⁷⁾.

والى جانب الملح يمكن القول بان مملكة سنغاي كانت تستجلب ما تحتاجه من المنتجات الصناعية التي لا تتوفر في أراضيها من مدن الشمال والمغرب العربي ، فمثل الثياب والأكسية والأقمشة الصوفية سلع تجارية مهمة تصدر إلى تلك المملكة ويمكن اعتبارها والأطعمة من أهم السلع على الإطلاق خاصة بالنسبة لتجار جبل نفوسة فهي عندهم

(68) الكبرى : المسالك والممالك (تحقيق ، ادريان فان ليوفين ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، 1992 م) ج2، ص 874 ، 877 .
 (69) إدريس الحرير : العلاقات الاقتصادية والثقافية بين الدولة الرستمية وبلدان جنوب الصحراء (مجلة البحوث التاريخية ، العدد الأول ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، طرابلس ، 1983 م)، ص 81 .
 (70) المسالك والممالك ، ج 2 ، ص 849 .
 (71) وصف أفريقيا ، ص 544 .
 (72) إدريس الحرير : العلاقات (مجلة) ص 81 .
 (73) المقدمة ، ج 2 ، ص 852 .
 (74) بلدة في جنوب المغرب أرضها سبعة جدا ومياه أبارها عذبة ومنها ينقل الملح إلى السودان الغربي .
 انظر : القزويني : آثار البلاد ، ص 25
 (75) الحرير : العلاقات (مجلة) ص 80 .
 (76) آثار البلاد ، ص 26 .
 (77) وصف أفريقيا ، ص 540 .

مما يدخل التجارة⁽⁷⁸⁾ ، وتعد الجلود الغدامسية المشهورة سلعة لا تقل أهمية عن الثياب ، فهي تدخل إلى تاد مكة وغيرها من مدن تلك المملكة⁽⁷⁹⁾ ، وكذلك الجلود الزويلية⁽⁸⁰⁾ .

المحور السابع : وسائل المعاملات المالية

مع اتساع الحركة التجارية بين مملكة سنغاي والشمال الأفريقي فقد تعددت وسائل المعاملات المالية بها وكانت على النحو التالي :

- العملة:

تعد العملة من أهم وسائل المعاملات المالية التي عرفت طريقها إلى مملكة سنغاي فقد كان لتلك المملكة عملة قوية عرفت باسم النقود الذهبية ، قد أشار البكري مؤرخ القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي إلى ذلك بقوله : "أن أهل تاد مكة كانت عملتهم عبارة عن دنانير تسمى الصلح ، وهي من الذهب الخالص ، غير مختومة"⁽⁸¹⁾ كما أشار إلى ذلك الوزان مؤرخ في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي بقوله : "والعملة الرائجة عند هؤلاء السودانيين هي الذهب الغير المسكوك"⁽⁸²⁾ ورغم عدم وقوفنا على ما يوضح وزن الدينار بتلك المملكة فإنه يبدو أنه كان على نفس الوزن المعمول به في شمال أفريقيا والمغرب العربي وذلك بحكم العلاقات التجارية بين الطرفين وهذا ما أشار إليه المقرئ مؤرخ القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي بقوله : "أن المتقال من الذهب يسمى دينار"⁽⁸³⁾ فضلا عن عملة الذهب فقد استعمل أهل تلك المملكة في مجال التعاملات المالية النقود النحاسية وذلك لشراء الأشياء البسيطة والرخيصة الثمن ، كما استعملوا النقود الحديدية في المعاملات المالية والذي يبدو أنه كان منتشرا ومتداولاً بتلك المملكة وهذا ما أشار إليه مؤرخنا الحسن الوزان في معرض حديثه عن مدينة جنى أن من العملات الرائجة عندهم "قطع الحديد لشراء أشياء زاهيدة القيمة كاللبن والخبز والعسل"⁽⁸⁴⁾ .

بالإضافة إلى النقود المعدنية المتداولة بتلك المملكة استعمل أيضا الملح في عملية المقايضة بالذهب ومن بين المدن التي تعاملت بالملح مقابل الذهب مدينة جنى والتي قال عنها السعدي مؤرخ القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي "أنها سوق عظيمة من أسواق المسلمين يجتمع فيها تجار الملح من مناجم تغازا وتجار الذهب بتنبكت"⁽⁸⁵⁾.

(78) سليمان النفوسي : الأزهار الرياضية في أنمة وملوك الاباضية(دار أبو سلام للطباعة والنشر ، تونس ، 1986 م) ج 2 ، ص 184 ، 185 .

(79) مجهول : الاستبصار ، ص 145 ، 146

(80) يعقوبي : المصدر السابق ، ص 345 .

(81) المسالك و الممالك ح 2 ، ص 880 .

(82) وصف أفريقيا ، ص 540 ، 541 .

(83) النقود الإسلامية المسمى بشذور العقود في ذكر النقود (ط 5 ، المكتبة الحيدرية ، النجف ، 1967) ص 45 .

(84) وصف أفريقيا، ص 537 .

(85) تاريخ السودان ، ص 11 .

- المكايل والأوزان والمقاييس :

تمثل المكايل والأوزان عنصراً أساسياً من عناصر تبادل السلع إلى جانب النقود، فبالنسبة إلى البيع والشراء هناك مواد قابلة للتعداد مثل الحيوانات والبيض والخضر والفواكه ولكن أغلب الأحيان يتم وزن أو كيل البضائع التي يصعب عدها أو فرزها ، ومن هنا وجدت الموازين والمكايل ، فالموازين هي جميع الأشياء التي يتم وزنها ومن أهم الموازين التي كانت منتشرة في مملكة سنغاي ما يلي :

1- المتقال : وكان يعادل وزن اثنين وسبعين حبة من حبات القمح المتوسط الحجم .

2- الدرهم : وكان يساوي سبعة أعشار الدينار .

3- الدينار : وكان يساوي أربعين درهما .

4- الأوقية : وكانت تساوي نحو سبعة وعشرين ونصف غرام .

وأما المكايل : فأنها كانت تستخدم لكيل المواد الجافة والسائلة معا ، فمن بين المواد الجافة مثلاً الحبوب والتمور والزبيب ، وأما المواد السائلة فمنها العسل والزيوت الحيوانية ... الخ ، والوحدة الأساسية في هذا النوع من المقاييس هي :

1- المد : الذي يقدر بما يساوي سعة أربعة ألواح اليدين .

2- الصاع : ويساوي أربعة أضعاف المد ، أو ثلاث لترات .

3- القنطار : ويقدر بمائة رطل .

4- المودى : فهو يقدر بما يحمله الرجل من حبوب في كيس كان يتخذ من الجلد .

وأما المقاييس : فهي تستخدم لقياس الأطوال كالأقمشة والأرض وغيرها من الوحدات الطويلة وقد وجدت في مملكة السنغاي على النحو التالي :

1- الشبر : ويساوي الامتداد بين الخنصر والإبهام حيث تكون الكف مفتوحة وقد قدر بحوالي 21.5 سم تقريباً .

2- الذراع : وهو الامتداد بين عقدة المرفق ونهاية الوسطى ويساوي 50 سم تقريباً .

3- الميل : ويستعمل في قياس المسافات ويقدر بحوالي الكيلو مترين .

4- الفرسخ : وهو الذي تقاس به المسافات الشاسعة وكان يساوي ستة كيلومترات .

5- البريد : وكان يساوي مسافة سير الحصان المسرع لمدة ساعة كاملة (86).

- الأسعار :

كانت الأسعار في مملكة سنغاي تختلف من وقت إلى آخر ، وذلك حسب ظروف العرض والطلب على السلع في السوق خاصة في أثمان العبيد من حيث العرض والطلب ، من جهة ، ومن حيث نوعية العبد وسنه من جهة ثانية ، ومن حيث العمل الذي يقوم به من جهة ثالثة ، فعلى سبيل المثال كان يباع العبد والذي بلغ سن الخامسة بستة دنانير

أي ست أوقيات ذهب ، بينما الأطفال الصغار وكبار السن فكانوا يباعون بثلاثة دنانير ، أما سعر العبيد في مرحلة الشباب فكانوا يباعون بأعلى الأثمان وذلك لقدرتهم على تحمل العمل فكانوا يتميزون بالقوة والعطاء . (87)

وعن الخيول فكانت أثمانها تتراوح ما بين أربعين مثقالاً ومائة مثقال أو يزيد في بعض الأحيان ، بينما بلغت أثمان الجمال ما بين أربعة مثاقيل وسبعة بحسب العرض منها أي نقلاً أو ركوباً أو للغداء ، علماً بأن المتخذ للنقل أو الركوب كان أعلى في الثمن ، ويضاف إلى ذلك الأبقار والتي كانت أثمانها تتراوح بين مثقالين ونصف المثقال وبين ثلاثة مثاقيل ونصف . (88)

وللأقمشة هي الأخرى كان لها سعرها ، فسعر القطعة الملونة أو البيضاء فأنها تساوي أربعة دنانير ، بينما المستورد منها فكان يساوي خمسة عشر دينار . (89)

وهكذا فقد تنوعت وسائل المعاملات المالية بمملكة سنغاي خلال فترة الدراسة ، كما تنوعت فيها السلع والمنتجات وتكاثرت فيها عمليات البيع والشراء الأمر الذي أدى إلى إقامة علاقات تجارية مع بلاد الشمال الأفريقي والمغرب العربي مما هيا لها حياة اقتصادية زاهرة وثروة طائلة استغلها سلاطين تلك الممالك في رقي الدولة والحفاظ عليها .

(87) الحسن الوزان : المصدر السابق ، ص 544 .

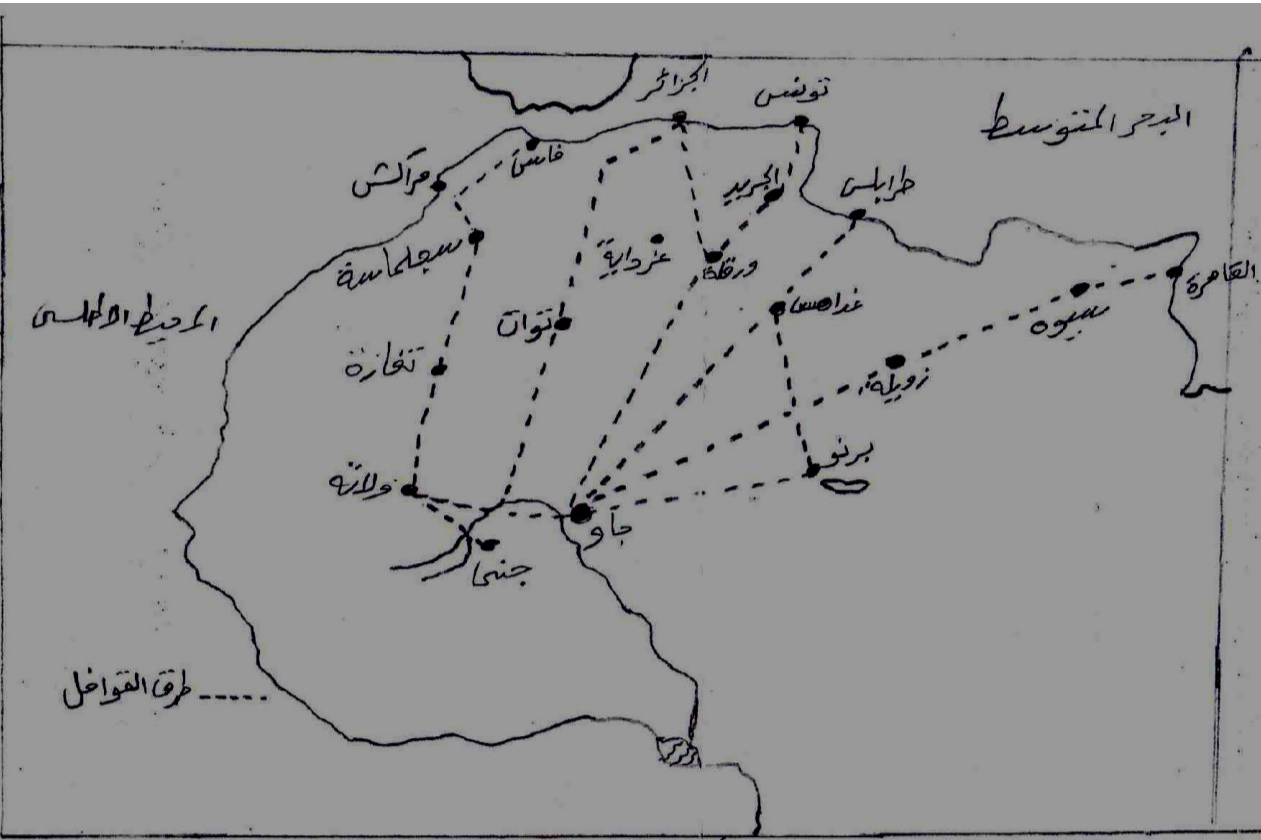
(88) محمود كعت : المصدر السابق ، ص 219 .

(89) الحسن الوزان : المصدر السابق ، ص 544 .

الخاتمة

من خلال هذا البحث توصلت إلى عدة نتائج:

- . أكد البحث أن لنشأة وتأسيس مملكة سنغاي أهمية كبرى في تاريخ غرب أفريقيا من الناحية الاقتصادية ، حيث كان لموقعها الجغرافي على نهر النيجر أهمية في استغلال مياهه في مجال الزراعة والرعي ، كما أن موقعها بين الشمال الأفريقي والسودان الغربي قد هيا لها الاستفادة من تجارة القوافل التي تجوب الصحراء الكبرى.
- . أظهر البحث ازدهار الزراعة بمملكة سنغاي والتي كانت من المصادر الأساسية لثروة تلك المملكة فكان إنتاجها يزيد بزيادة كمية الأمطار وخصوبة التربة وإقبال الأهالي عليها والاهتمام بها .
- . أوضح البحث اهتمام مملكة سنغاي بالثروة الحيوانية ، حيث حباها الله تعالى بثروة حيوانية ساهمت إلى حد كبير في تنمية الحياة الاقتصادية بتلك المملكة .
- . خلص البحث إلى أهمية الثروة المعدنية بتلك المملكة وذلك لما حوته أراضيها من مقومات بشرية وطبيعية جعلت منها مملكة ذات كيان حضاري مستقل تتمثل في وجود العديد من الثروات المعدنية والتي ساهمت بدورها في ظهور العديد من الصناعات المختلفة .
- . أكد البحث إلى اهتمام مملكة سنغاي بالتجارة الداخلية والتي لعبت دوراً بارزاً في تطور الحياة الاقتصادية بتلك المملكة وذلك من خلال ظهور العديد من الأسواق والتي تنوعت فيها السلع التجارية وتطورت فيها عملية البيع والشراء .
- . أظهر البحث ازدهار التجارة الخارجية بمملكة سنغاي وذلك نتيجة لاهتمام سلاطين وأمرأ تلك المملكة بتأمين الطرق وإقامة الاستراحات للقوافل التجارية إلى جابت الصحراء الكبرى ذهاباً وإياباً بين تلك المملكة والشمال الأفريقي .
- . خلص البحث إلى تنوع وسائل المعاملات المالية بتلك المملكة وكان من أهم تلك المعاملات العملة ، والمكاييل والأوزان والمقاييس ، وكذلك الأسعار .



مخطط لطرق القوافل التجارية بين مملكة سنغاي وبلاد المغرب العربي وشمال أفريقيا

"من أعداد الباحث"

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر:

1. القرآن الكريم .
2. أبو الفداء (عماد الدين إسماعيل، ت 732 هـ / 1331 م) : تقويم البلدان، دار صادر، بيروت، د. ت.
3. الإدريسي (أبو عبيد الله محمد بن محمد بن عبد الله، ت 649 هـ / 1251 م) : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مج1، مكتبة الثقافة الدينية، د. ت.
4. الارواني (أحمد بابيير ، كان حياً خلال القرن الرابع عشر الهجري) : جواهر الحسان في أخبار السودان ، تحقيق الهادي الدالي ، دار الكتب الوطنية ، بنغازي ، 2001م .
5. — : السعادة الأبدية في التعرف بعلماء تنبكت البهية ، تحقيق الهادي الدالي ، دار الكتب الوطنية ، بنغازي ، 2001م .
6. الإصطخري (ابن إسحاق إبراهيم الفارسي، ت 350 هـ / 960 م) : المسالك والممالك، تحقيق محمد الجيني، دار القلم، 1968م.
7. ابن بطوطة (محمد بن عبد الله بن محمد، ت 779 هـ / 1377 م) : رحلة ابن بطوطة ، شركة الإعلانات الشرقية، القاهرة، د. ت .
8. البكري (أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز، ت 487 هـ / 1094 م) : المسالك والممالك، تحقيق أدريان فان ليون، ج2، الدار العربية للكتاب، تونس، 1992م.
9. التنبكتي (محمود كعت ، ت العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي) : تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس ، هوداس ، باريس ، 1913م.
10. الحميري (محمد بن عبد المنعم ، ت 866 هـ / 1462 م) : الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط2، مؤسسة ناصر للثقافة، 1980م.
11. ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد، ت 808 هـ / 1405 م) : مقدمة ابن خلدون، تحقيق علي عبدالواحد وافي، ج2، دار نهضة مصر، 2006م.
12. ابن سعيد (أبو علي بن موسى، ت 685 هـ / 1286 م) : كتاب بسط الأرض في الطول والعرض ، تحقيق خوان فنيط ، تطوان، 1958م .

13. — : كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1970م.
14. السعدي (عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران ، ت1066هـ/1655م) : تاريخ السودان ، هوداس ، باريس ، 1964م .
15. ابن فضل الله العمري (شهاب الدين أحمد بن يحيى ، ت749هـ/1349م) : مسالك الأبصار في ممالك الامصار ، تحقيق محمد عبد القادر ، ج4، مركز زايد للتراث والتاريخ ، 2001م .
16. القزويني (زكريا بن محمد بن محمود، ت 682 هـ / 1283 م) : آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د. ت.
17. القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي، ت 821 هـ / 1418 م) : صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، شرحه وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، ج5، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م.
18. مجهول (ت السادس هـ/الثاني عشر م) : الاستبصار في عجائب الامصار ، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد ، مطبعة جامعة الاسكندرية ، 1958م .
19. المسعودي (أبو الحسن على بن الحسين، ت435هـ/956م) : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق سعيد محمد اللحام ، ج2 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 2005 .
20. المقرئ (تقي الدين أحمد بن على ، ت845هـ/1441م) : النقود الإسلامية المسمى بشذور العقود في ذكر النقود ، ط5، المكتبة الحيدرية، النجف، 1967م.
21. النفوسي (سليمان بن الشيخ عبد الله الباروني، ت1359هـ/1951م) : الازهار الرياضية في أئمة وملوك الأباضية ، ج2، دار أبو سلام للطباعة والنشر، تونس، 1986م .
22. الوزان (الحسن بن محمد، 935 هـ / 1540 م) : وصف أفريقيا، ترجمه عن الفرنسية عبدالرحمن حميدة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2005م.
23. ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله الحموي الرومي، ت 626 هـ / 1228 م) : معجم البلدان، ج1، ج3، دار صادر، بيروت، 1986م.
24. اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن واضح، ت 282 هـ / 895 م) كتاب البلدان، ملحق بكتاب الأعلام النفسية لابن رسته، لندن، 1891م.

ثانياً : المراجع :

25. إبراهيم ، محمد عبد الفتاح :الثقافات الأفريقية ، القاهرة ، 1965م .
26. باشا ، نجات : التجارة في المغرب الإسلامي من القرن الرابع إلى القرن الثامن للهجرة ،الجامعة التونسية ، تونس ،1976م .
27. التكتك ، جميلة امحمد : مملكة سنغاي الإسلامية في عهد الأسكيا محمد الكبير 1493-1528م ، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، طرابلس ،1998م .
28. جمعة ، على : المكايل والموازن الشرعية ، دار الرسالة ، القاهرة ، 2002م.
29. حجي ، محمد : الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعدين ، الدار المغربية للتأليف والترجمة والنشر ، الرباط ، 1976م .
30. الدالي، الهادي المبروك: مملكة مالي وعلاقاتها مع أهم المراكز بالشمال الأفريقي من القرن 13 . 15 م، ط2، مطابع الوحدة العربية، الزاوية، 1999م.
31. زبادية ، عبد القادر : مملكة سنغاي في عهد الأسقيين 1493-1591، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، د.ت .
32. سيسوخو ، سيكيني : تنبكت ومملكة السنغاي ، دكار ، 1975م .
33. عبد الجبار ، إبراهيم : أفريقيا جنوب الصحراء ، العراق ، 1978م .
34. على ، فاي منصور : أسكيا الحاج محمد وإحياء دولة السنغهاي الإسلامية 889-935هـ/1493-1529م ، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ،1997م .
35. عوض الله ، الشيخ الأمين : تجارة القوافل بين المغرب والسودان الغربي وأثارها الحضارية حتى القرن 16م ((بحث منشور في كتاب تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر)) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، معهد البحوث والدراسات العربية ، بغداد ، 1984م .
36. الغربي ، محمد : بداية الحكم المغربي في السودان الغربي ، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر ، الكويت ، د.ت .
37. غيث: امطير سعد: الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السوداني الغربي، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2004م .
38. فخر ، إبراهيم : تجارة القوافل في العصر الوسيط ودور التجار الليبيين في حضارة الصحراء الكبرى ، معهد البحوث والدراسات العربية ، بغداد ، 1984م .

39. الفيتوري ، عطية : دراسات في تاريخ شرق أفريقيا وجنوب الصحراء ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي ، 1993م .

40. قداح ، نعيم : أفريقيا الغربية في ظل الإسلام ، كوناكري ، 1960م .

41. نوري ، عبد القادر : تاريخ الإسلام في أفريقيا جنوب الصحراء ، جامعة الموصل ، بغداد ، 1985م .

42. هود كين ، توماس : ممالك السودان الغربي ، ترجمة عبد الواحد الامباني ، القاهرة ، د.ت .

ثالثاً : الدوريات:

43. باولو فرناندو : نظام تجارة تادمكة وجاو وكاكا وكوكيا في إطار تاريخ الاتصالات الثقافية على امتداد طرق التجارة عبر الصحراء ، مجلة البحوث التاريخية، العدد الأول، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1981م .

44. الحرير ، إدريس صالح : العلاقات الاقتصادية والثقافية بين الدولة الرستمية وبلدان جنوب الصحراء وأثرها في نشر الإسلام هناك، مجلة البحوث التاريخية، العدد الأول، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1984م .

45. فضل الله ، قمر الدين : لمحة تاريخية عن مملكة سنغاي الإسلامية 1468-1591م ، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد الرابع ، طرابلس، 1981م .

46. محمود ، حسن أحمد : دور العرب في نشر الحضارة في غرب أفريقيا ، المجلة التاريخية المصرية ، جامعة عين شمس ، القاهرة ، مجلد 14 ، 1968م .

رابعاً : المراجع الأجنبية :

47. Bovill : Garavans of old sahara , London , 1923 .
48. Hunwick , J.O : Religion and state in Songhay Empire , Islam in Tropical Africa .
49. Mauny , R . : Tableau Geographique de L'ouest Africain au Moyen – age , Dakar , 1961 .
50. Trimin Gham , J,C : A History of Islam In West Africa London , 1970 .